

محاضرات أدب العصور المتأخرة

المرحلة الثالثة

المحاضرة الأولى

خصائص الموضوعات التقليدية للشعر

استمر الشعراء في العصر الوسيط في طرق الموضوعات الشعرية التقليدية كالمديح والرثاء والغزل والوصف والهجاء والخمريات، وتطورت وازدهرت موضوعات شعرية أخرى كانت موجودة سابقاً لدى الشعراء كالمدائح النبوية والاخوانيات والزهد والتصوف والشعر التعليمي وشعر الحرب.

١- المديح :

هو أبرز موضوعات الشعر، وفيه نوعان الأول : مديح صادق ينبع من النفس، بعيداً عن الخضوع للممدوح وهو قليل، الآخر: مديح كاذب يصدر من طرف اللسان، فيه مبالغة وتذلل وسؤال وهو كثير، والغالب في قصائد المديح الشكل التقليدي، فهي تستهل بالغزل أو طيف الخيال، أو وصف الخمرة ، أو الطبيعة، أو الشيب وبكاء الشباب، أو تستهل بالحكمة، والشكوى من الحياة، ويلاحظ في المقدمة الغزلية برود العاطفة لأنها لا تنتم عن حب صادق، وربما جاءت هذه المقدمة بشيء من اللطافة والعذوبة بسبب تمكن الشاعر من اللغة .

ومن ذلك مقدمة قصيدة مدحية لابن أبي أصيبعة يمدح فيها الوزير أمين الدولة أبا الحسن بن غزال :

فؤادي في محبتهم أسير وأنى سار ركبهم أسيرُ

يحنُّ الى الغُذيب وساكنيه حنيناً قد تضمنه سعيـر

ويهوى نسمة هبت سُحيراً بها من طيب نشرهم عبير

واني قانع بعد التداني بطيف من خيالهم يزور

واستمر الشاعر بعد ذلك في الغزل والوصف حتى تخلص الى المديح بعبارات الاطراء
والثناء المبالغ فيها وهذا هو المتبع غالبا عند الشعراء :

وإن أشك الزمانَ فإنْ ذخري أمينُ الدولة المولى الوزيرُ
كريمٌ أريحنيّ ذو أيادٍ تعمُّ كما همى الجونُ المطيرُ
تسامى في سماء المجد حتى تأثر تحت أخمصه الأثيرُ
له أمرٌ وعدلٌ مستمـرٌّ به في الخلق تعتدل الأمورُ

وكانت المبالغة المفرطة هي ديدن مدائح العصر الوسيط فالشاعر صفي الدين الحلي مثلاً
يظهر الممدوح - وهو أحد سلاطين المماليك - في صورة خيالية فريدة بقوله :

ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمان مسالما ومحاربا
فإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواها
كالليث يحمي غابه بزئيره طورا، وينشب في القتيص مخالبا
كالسيف يبدي للنواظر منظرا طلقا، ويمضي في الهياج مضاربا

وكانت المبالغة في شعر هذا العصر تزداد كلما كانت العطايا أكثر، وكثيرا ماكان الشعراء
يلمحون او يصرحون بطلب العطاء ويصل بهم الحد الى الاستجداء، وكانت المدائح تدور حول
السخاء والارحية والشجاعة ونبل الاصل والسطوة والنبوغ وغيرها، وكانت قائمة الممدوحين تشمل
السلطين والوزراء والنواب والقادة والعلماء والكتّاب وغيرهم، وربما كانت المدائح على شكل
موشحات كموشحة شهاب الدين التلعفري في مدح صديقه شهاب الدين العزازي وهي موشحة
طريفة صادقة صادرة من القلب :

ليس يروي ما بقلبي من ظما غير برق لائـح من إضم

إن تبدى لك بان الأجرع

وأثـيلات النقا من لعلع

ياخيلني قف على الدار معي

وتأمل كم بها من مصرع

واحترز واحذر فأحداق الدمى كم أراقت في رباها من دم

حظ قلبي في الغرام الوله

فعذولي فيه ما لي وله

حسبي الليل فما أطوله

لم يزل آخره أوله

٢- الرثاء :

هو غرض يعبر عن حزن الانسان وتأسفه على فقد الأحبة، وقد أكثر الشعراء النظم فيه ولكنه في هذا العصر لم يرتق لمراثي الشعراء المتقدمين، فليس فيه عمق أو أحاسيس صادقة وليس فيه تطرق لفلسفة الحياة والموت، وقد شملت المراثي رثاء الأصحاب والأحاب والعلماء، وكذلك رثاء المدن والدول البائدة التي نكبت بالغزو والتدمير، ومن ذلك بغداد التي أسقطها المغول وعاثوا فيها فساداً وقتلاً وتخريباً، فقد رثاها شعراء كثر رثاء حاراً، ومنهم شمس الدين الواعظ الكوفي الذي رثاها بقصائد عدة ذكر فيها اصحابه الذين أبيدوا وتمنى فيها الموت:

إن لم تقرح أدمعي أجفاني من بعد بعدهم فما أجفاني

إنسان عيني مذ تناءت داركم ما راقه نظر إلى إنسان

يا ليتني قدمت قبل فراقكم ولساعة التوديع لا أحياني

ما لي وللأيام شئت صرفها حالي، وخلائي بلا خلان

ولم تكن بغداد المدينة الوحيدة التي رثاها الشعراء في هذا العصر بل شاركتها مدن في بلاد الشام والمغرب والاندلس، ومن ذلك ماقاله الشاعر المغربي الشريف المفضل أفيلال راثيا مدينته تطوان بعد غزو الفرنسيين سنة ١٢٧٦ هـ :

يادهر قل لي : علامه كسرت جمع السلامه؟

خَفَضْتُ قَدْرَ مَقَامٍ للرفع كان علامه

ملكتـــــــــــــــــه لعداة ليست تساوي قلامه

فالدين يبكي بدمع يحكيه صوب الغمامه

على مساجد أضحت تباع فيها المدامه

تطوان ما كنت إلا بين البلاد حمامه

وقد كثرت في هذا العصر مرثي العلماء والادباء والحُكّام، ورثاء الابناء والزوجات والإخوان وصولاً الى الحيوان، ويحتل رثاء العلماء والبكاء عليهم وتعداد مناقبهم وامتداح آثارهم العلمية جانباً كبيراً من مرثي هذا العصر، وهذا دليل اهتمام الناس بالعلم وأهله، فمن ذلك مرثية ابن نباتة المصري حاكم حماة المؤرخ والأديب والفقيه الكبير عماد الدين أبي الفداء الأيوبي والتي ختمها بالحكمة ذاكرة النبي أيوب وصبره الجميل :

يا آل أيوب صبراً : إن أرثكم من اسم أيوب صبر كان ينجيهِ

هي المنايا على الاقوام دائرة كُلّ سيأتيهِ منها دورُ ساقِيهِ

هي المقاديرُ هذا الأصلُ تنزعهُ بعد النمو وهذا الفرعُ تُنميهِ

لا تخشَ بيتكَ أن يلوي الزمانُ به فإن للبيت رباً سُوف يحميهِ

المحاضرة الثانية

تكملة الاغراض التقليدية للشعر

٣- الغزل : كثر هذا الفن لدى شعراء هذا العصر ولكن أغلبه دون تجربة حقيقية وإنما جاء مجازاة لروح العصر، فشاعر مثل ابن الوردي ينظم مئة مقطوعة في الغزل بالمذكر، ثم ينظم

مئة مقطوعة غزل في مئة جارية ويسمىها (الكواكب السارية في مئة جارية) وكل ذلك مجارة
لروح العصر، ومنها قوله في جارية اسمها مي :

قلت لمي أنا في حبكم ميت فدتك النفس من مي

ترين ماذا فيّ، قالت أرى أن (يخرج الميت من الحي)

وهو غزل بارد مصنوع لأروح فيه، ولا عاطفة صادقة ولا يجذب المتلقي، وقد تمكن شعراء
العصر من نظم هكذا اشعار ومنها مثلاً قول الشيخ قطب الدين محمد بن احمد النهرواني:

أقبل كالغصن حين يهتـرُ في حُلّ دون لطفها الخـرُ

مهفهف القـد ذو محيا بعارض الخد قد تطـرـز

دار بخديه وأو صـدغ والصاد من لحظه تلـوز

الخمـر والجمر من أـماه وخده واضـح وملغـز

والغريب ان يعارض بعضهم هذه القصيدة كالشاعر محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي،
وقد بالغ فيها وتكلف كثيرا ثم جاء شاعر ثالث ليعارض القصيدة نفسها هو نجم الدين الغزي،
ونجد ان القصائد الثلاث نظمت للانشاد والغناء دون عاطفة وشعور صادق .

ويبدو ان التغزل بالمذكر يعود لاحتجاب النساء في البيوت وعدم السماح لهن بالخروج
ومخالطة الرجال حفظا لسمعتها، ماجعل الشعراء يتحولون للغزل بالمذكر، وكان اكثر الشعراء
يتغزلون بالمذكر ويريدون المؤنث، فجاء وصف محاسن الغلمان مشابها لوصف محاسن النساء،
فقد وصفوا العيون والخصور والهيام والوجد والتتيم، ولكن شعراء هذا العصر لم يصلوا الى حد
الابتذال الذي وصل اليه الشعراء العباسيون كأبي نواس وكشاجم وابن حجاج وابن سكرة وغيرهم.

وقد التفت شعراء العصر الى غزل العصر العباسي لمعارضته والاعتماد على اخيلته وصوره
وقوافيه فمن ذلك معارضة قصيدة الشريف الرضي المعروفة :

ياظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم ان القلب مرعاك

فقد عارضها مخلص الدين ابراهيم بن محمد الخزاعي بقوله :

ياجنة الطرف نار القلب مأواك وماتوقدها من برد ذكراك

ويامهاة الدُمى كل الدماء لكم حلّ، فمن بحرام الفتك أفتاك

حاشاك ياظبية البان التي افترست أسد العرين من التأثيم حاشاك

وشاعت في فن الغزل (المخمسات) معتمدة على قصائد الشعراء الاقدمين، فمن ذلك تخميس

جلال الدين محمد بن عمر لقصيدة الشاب الظريف :

غبتم فطرفي من الأجفان ماغمضا ولم أجد عنكم في الهوى عوضا

فيا عذولا بفرط اللوم قد نهضا (للعاشقين بأحكام الغرام رضا

فلا تكن يافتي بالعذل معترضا)

وكذلك استخدم الشعراء (الموشحات) في الغزل وقد اجاد الشعراء المشاركة فيه كحال

المغاربة، وسنخصص مبحثا للموشح في دراستنا للفنون الشعرية المستحدثة .

وما يلفت الانتباه هو كثرة ذكر البقاع الحجازية في شعر الغزل في هذا العصر، اقتداء

بشعراء عباسيين كبار كالشريف الرضي والابيوردي،ومن ذلك مثلا قصيدة الفقيه محب الدين

احمد بن عبد الله الطبري :

لاتلم ياخلي قلبي فيهم ما على من هوى الملاح جناح

ويح قلبي وويح طرفي الى كم يكتنم الحب، والهوى فضأح

صاح عرج على العقيق وسلع وقباب فيها الوجوه الملاح

٤-الوصف : هو احد الاغراض الرئيسة للشعر، وكثيرا مايرد في قصائد المدح والثناء والغزل

والهجاء، وربما استقل بنفسه في قصائد خالصة، وقد وصف الشعراء الدور والقصور والمدن

والقرى بما فيها من بساتين وثمار وطيور وانهار، ووصفوا السماء والكواكب والامطار وغيرها .

وقد كثر في هذا العصر وصف الطبيعة الصامته كالبحيرات والازهار والمنتزهات، ويعد الشاعر مجير الدين بن تميم اكثر الشعراء وصفا للطبيعة ويمكن ان نسمي قصائده في الطبيعة باسم (الزهریات) وقد مزج الغزل بوصف الطبيعة في قوله :

كيف السبيل للثم من أحببته في روضة للزهر فيها معرك

مابين منثور وناظر نرجس مع اقحوان وصفه لا يدرك

هذا يشير بإصبع وعيون ذا ترنو اليه وتغر هذا يضحك

واشتهر ايضا بوصف الجداول والبرك والنافورات ودواليب الماء ومن ذلك قوله :

تأمل الى الدولاب والنهر إذ جرى ودمعهما بين الرياض غزير

كان نسيم الروض قد ضاع منهما فأصبح ذا يجري وذاك يدور

ومن شعراء الطبيعة المشهورين في هذا العصر الامير منجك بن محمد بن منجك وقد عاش متنعما وشغف بوصف الطبيعة وفيها يقول:

ومنتزه يروق الطرف حسنا لما فيه من المرأى البديع

تجول كتائب الأزهار فيه وقد كُسيَت حُلَى الغيث المربع

وبات الورد فيه وهو شاكي السد للاح يميذ في الدرع المنيع

ووصف الشعراء ايضا بعض المدن المشتهرة بجمال الطبيعة ودعوا الناس الى التمتع بجمال مناظرها وطيب هوائها والوان ازهارها وبهاء عمرانها وانواع طيورها، فقد نظمت الشاعرة عائشة الباعونية ابياتا في دمشق تقول فيها :

نزه الطرف في دمشق ففيها كل ما تشتهي وماتختار

هي في الأرض جنة فتأمل كيف تجري من تحتها الأنهار

كم سما في ربوعها كل قصر أشرقت من وجوها الأقمار

وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار

وقد شاع في هذا العصر وصف القهوة، وقد اختلف الشعراء بين مادح لها وذام، فمن الشعراء الذين امتدحوها الشاعر ابراهيم بن المبلط :

ياعائبا لشراب قهوتنا التي تشفي شفاء النفس من امراضها

او ماتراها وهي في فنجانها تحكي سواد العين وسط بياضها؟

وشاع ايضا وصف اشياء غريبة ومستحدثة ليس فيها من العاطفة شيء، كوصف شهاب الدين الخيمي لسبحة سوداء :

وسبحة سوداء، لونها يحكي سواد القلب والناظر

كأنني عند اشتغالي بها أعد أيامك ياهاجـري

وقد تطرق الشعراء الى موضوعات كثيرة في الوصف، بعضها جدي وبعضها هزلي، وبالغوا احيانا في الوصف فقد وصفوا مثلا مافي منازلهم من حشرات وقوارض، يقصدون في ذلك وصف فقرهم وهوان حياتهم فقد نظم كمال الدين بن المبارك الشهير بابن الاعمى وكان فقيرا معدماً قصيدة طويلة يصف فيها الحشرات في بيته ومنها :

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات من حشراتِها

الخير عنها نازح متباعدا والشر دان إليها من جميع جهاتها

من بعض مافيها البعوضُ عدمته كم أعدم الأجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها البراغيتُ متى غنت لها رقصت على نغماتها

وقد بالغ الشاعر كثيرا في وصف فقره وحياته السوداوية والحشرات الغريبة المؤذية في بيته

• وذلك ليستدر عطف الناس متأثرا بشعراء الكدية في القرن الرابع الهجري

المحاضرة الثالثة

الموضوعات الشعرية المتطورة

حاول الكثير من شعراء العصر الوسيط تجاوز الموضوعات التقليدية السائدة، وتطوير الشعر تماشياً مع ظروف العصر، فنظموا في موضوعات نشأت أغلبها في العصر العباسي ولكنهم طوروا هذه الموضوعات وزادوا من النظم فيها وهي المدائح النبوية والاخوانيات والزهد والتصوف والشعر التعليمي وشعر الحرب .

١ - المدائح النبوية :

ازداد اهتمام الشعراء بمدح الرسول (ص) بعد غزو المغول والحملات الصليبية لديار المسلمين وكثرة الويلات والالام التي أصابت الناس، فقد توسل الشعراء بالرسول الكريم وتشفعوا به كي يدخلوا الجنة وأن تزول همومهم ويعود الامن الى ديارهم، وقد وضع الكثير من الشعراء كتباً ودواوين كاملة في المدح النبوي، وقد بدأ ذلك في العصر العباسي على يد الحافظ ابو الخطاب ابن دحية الكلبي (٦٣٠هـ) الذي وضع كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) سنة ٦٢٥هـ، ونجد في هذا العصر دواوين كثيرة في المدح النبوي منها :

١- ديوان (أهني المنائح في أسنى المدائح) لشهاب الدين محمود الحلبي (٧٢٥هـ) .

٢- ديوان (بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب) لابن سيد الناس اليعمرى (٧٣٤هـ) .

٣- ديوان (نظم الدرر في مدح سيد البشر) لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر العطار .

٤- ديوان (منتخب الهدية في مدح سيد البرية) لابن نباتة المصري (٧٦٨هـ) .

غير أن أفضل شعراء المدح النبوي وأغزرهم هو جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري الذي قتله المغول سنة ٦٥٦هـ ويسمى شاعر رسول الله وقد انتشرت

مدائحه بين الناس في كل مكان، وقد نظم قصيدة قبل دخول التتار لبغداد يدعو فيها
الله ان ينجي المسلمين من شرهم:

اشكو اليك وأنت تعلم فتنةً كادت لها الصم الصلاب تصدعُ
فبمن أعزك واصطفاك فاجزل الـ نُعمى عليك فحوض فضلك مُترع
سل جبر امتك الكسيرة إنه لم يبق في قوس التجلد منزع

وعادة ماتبدأ المدائح النبوية بمقدمة غزلية تتضمن وصف محاسن المرأة ومعاناة
المحب من السهر والقلق والاشتياق، وكان ابرز مانظم على هذه الشاكلة القصائد
التي عارضت بردة كعب بن زهير المشهورة التي كانت منارا يهتدي اليه الشعراء في
العصرين العباسي والوسيطة، فقد عارضها (٢١) شاعرا وشرحها وعلق عليها (٩)
ادباء، فمن الشعراء الذين عارضوها شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري
(٦٩٦هـ) واحمد بن عبد الملك العزازي (٧١٠هـ) وابو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ)،
وابن نباتة المصري والفيروز ابادي (٨١٧هـ) وابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) وغيرهم،
وقد شرحت بردة كعب وخمست وشطرت تبركا بمن انشدت فيه، وكانت اغلب
المعارضات قريبة المآخذ سهلة المعاني ومنها مثلاً بردة البوصيري المسماة (ذخر
المعاد في وزن بانة سعاد) ومطلعها :

الى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ماقدمت مسؤول

ومنها :

والمصطفى خير خلق الله كلهم له على الرسل ترجيح وتفضيل
محمد حجة الله التي ظهرت بسنة مالها في الخلق تحويل
نجل الاكارم والقوم الذين لهم على جميع الأن الطول والطول

من كَمَل الله معناهُ وصورتَهُ فلم يفته على الحاليين تكميل

وخصه بوقارٍ قرَّ منه له في أنفسِ الناسِ تعظيمٌ وتبجيل

وهي قصيدة طويلة بينت مكارم النبي وأوصافه، وقد استقبل الناس هذه القصيدة وغيرها بالترحيب وعدوها وسيلة من الوسائل التي تقربهم من الله وتجنبهم المصائب والكوارث، وتدفع أذى الحكام وجورهم، وتجلب لهم الرزق وتغفر خطاياهم .

وكثيرا ماكانت المدائح النبوية تبدأ بالتشبيب بالديار الحجازية وذكر معالمها والبكاء على قاطنيها والحنين اليها، ثم التطرق الى احوال العرب واستبداد الغرباء بالحكم ونهب خيرات البلاد ومن ذلك قصيدة الشاب الظريف (٦٨٨هـ) :

قوم هم العرب المحمي جارهـم فلا رعى الله الا أوجه العرب

أعز عندي من سمعي ومن بصري ومن فؤادي ومن أهلي ومن نشبي

لهم عليَّ حقٌّ مذ عرفتُهم كائنني بين أم منهم وأب

إن كان أحسن ما في الشعر أكذبه فحسن شعري فيهم غير ذي كذب

حياك يا تربة الهادي الشفيع حيا بمنطق الرعد باد من فم السحب

يا ساكني طيبة الفيحاء هل زمن يذني المحب لنيل السؤل والأرب

أرض مع الله عين الشمس تحرسها فإن تغب حرستها أعين الشهب

وتتسم قصائد المديح النبوي بحرارة العاطفة وصدق التعبير وجمال الاسلوب ورقة الالفاظ ولطف الايقاع الموسيقي، والاستخدام المكثف للأساليب البديعية كالسجع والجناس والمقابلة ورد الاعجاز على الصدور، وقد يتجاوز بعض الشعراء اللغة الفصحى في هذا المديح كما في شعر ابي الحسن الششتري وابي بكر العيدروسي .

المحاضرة الرابعة

٢- الاخوانيات

هي اشعار يتبادلها الاصدقاء بدأ النظم فيها في العصر العباسي، وتقوم مقام الرسائل النثرية وتتضمن اواصر المودة بين الاصدقاء، وتكتب في مناسبات التهئة والعتاب والاعتذار وطلب الحاجة وانجاز وعد، وربما كانت للممازحة والملاطفة والمفاكهة، وقد أكثر الشعراء من الاخوانيات في هذا العصر ومن هؤلاء ناصر الدين بن النقيب (٦٨٠هـ) الذي جالس كثيرا من الشعراء وصاحبهم وذاكرهم في الشعر ووضع كتابا سماه (منازل الأحاب ومنازه الألباب) ومن شعره الاخواني ماكتبه الى الشاعر سراج الدين الوراق :

ياساكن الروضة: أنت المشتهى من هذه الدنيا وأنت المقتضى

وياسرور النفس بين الشعرا أنت الرضي فيهم والمرضى

وياسراجاً لم تزل أنــــواره تعيد مسود الليالي أبيضاً

ومالي أراك قاطعاً لواصل ومعرضاً عن مقبل ما أعرضاً؟

فأجابه الوراق بابيات من ذات الوزن والقافية :

ياسهم عتب جاء من كنانة أصبت من سواد قلبي الغرضاً

لكن أسوت ماجرحته بما أعقبته من العتاب بالرضا

ياابن النقيب ماارى منقبةً إلا وأولتك الثناء الابيضاً

ان ولائي حسنٌ في حسنٍ إذا ما أرى لغمرٍ ان يرفضاً

وكثيرا ماكان شعراء الاخوانيات يضمنون الاشعار المشهورة لتزداد اشعارهم قبولا وانتشارا
كقول القاضي صدر الدين علي بن محمد الآدمي (٨١٦هـ) مخاطبا صديقه الشاعر ابن حجة
الحموي (٨٣٧هـ) وضمن ابيات من معلقة امرئ القيس :

أحنُ الى تلك السـجـايا وإن نأت حنينُ أخي ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ
وأذكر لـيـلاتٍ بكم قد تصرمت بدارٍ حبيبٍ لـابـدارةٍ جلجل
شكوتُ الى الصبرِ اشتياقي فقال لي: ترفقْ ولا تهلكِ أسىً وتجمل
فقلتُ له : إني عليـك معولٌ وهل عندَ ربعِ دارسٍ من مُعولٍ

فأجابه ابن حجة بأبيات ضمنها اشطر اخرى من معلقة امرئ القيس :

سرتُ نسمـةً منكم إليَّ كأنها بريح الصبا جاءت برياً القُرْنُفُلِ
فقلتُ لليلي مُذ بدا صبحُ طُرسها: (الا أيها الليل الطويل ألا انجل)
ورقت فأشعار امرئ القيس عندها (كجلمود صخر حطه السيل من عل)
فقلت : قفا نضحك لرفقتها على (قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل)

وهذه الامثلة الشعرية لا ابداع فيها، وتغلب عليها الصنعة وتخلو من الاخيلة والمعاني
الدقيقة، وتعتمد على اوزان وقوافي اشعار القدامى.

وقد قيل الكثير من الشعر الاخواني في مجالس الامراء والادباء والاثرياء التي كانت تعقد في
اوقات محددة وربما كانت تعقد مصادفة، وربما يتخلف بعض الادباء عن حضور المجالس،
فينظم ابياتا ويرسلها لصاحب المجلس لشرح الاسباب، كما فعل الشاعر حسن عبد الباقي العمري
(١١٥٧هـ) حين اعاقه سوء صحته وهطول المطر عن الحضور :

حسدَ السحابُ ندى يمينك إذ رأى منه النُّظار يسيلُ سيلَ الماءِ
فأعاقني وحلُ الطريقِ وبعضُ ما ألقاه في جسدي من البرحاءِ
كم من صديقٍ لا يزورُ صديقهُ فرطُ الزيارة شيمَةُ الأعداءِ

وكان الشعر الاخواني المنظوم في المجالس الأدبية مرتجلا وعلى شكل مقطوعات، ويفتقر الى الابداع في الاخيلة التي تشكل الصور البديعة .

ويمكن اعتبار الشعر الملغز والأحاجي من ضمن الشعر الاخواني، وهو من الرياضة الذهنية وضرب من ضروب التسلية الاجتماعية، وقد افرد بعضهم بابا مستقلا لهذا النمط، ومن ذلك ماكتبه نصير الدين بن احمد الحمامي (٧١٢هـ) الى زميله سراج الدين عمر الوراق ملغزا في النار :

ما أَسْمُ ثلاثي له النفعُ والضررُ له طلعةٌ تُغني عن الشمسِ والقمرِ
وليسَ له وجهٌ وليسَ له قفا وليسَ له سمعٌ وليسَ له بصر
يمدُّ لساناً تختشي منه الريحُ بأسه ويسخرُ يومَ الضربِ بالصارمِ الذكر
يموتُ إذا ما قمتَ تسقيه قاصداً وأعجبُ من ذا أن ذاك من الشجر

فأجابه الوراق :

أراك نصير الدين الغزتَ في التي تُعيدُ لمسك الليلِ كافورة السحرِ
رأى معشرٌ أن يعشقوها ديانةً وتالله لا تبقي عليهم ولا تندر
وكلُّ على قلبٍ لهم رانَ اسمها فمسكرتهم منها ومأواهم سقر
وقد وصفوا الحسنا في بهجة بها كما وصفوا الحسنا بالشمس والقمر
ولو لم تكنْ ما طابَ خبزٌ لآكلٍ ولا لذ ماءٌ في حماك لمن عبر

وهذا النظم مرهق للذهن ومتعب للفكر، ويتطلب وقتا لفك معانيه ومعرفة اجابته، وقد اكثر الشعراء من النظم فيه، ومنهم الشاعر ابن الوردي الذي وضع (٢٨) احجية على حروف المعجم، ولكل احجية عنوان، وتقع الاحجية في بيتين وتبدأ بحرف النداء (يا) .

ويدخل في اطار الاخوانيات ايضا ما يسمى بالتاريخ الشعري، وهو ضبط تاريخ مناسبة معينة بحساب الجمل وذلك بترتيب الحروف الابجدية ومايقابلها من ارقام، وقد بدأ هذا النمط في

العصر العباسي ، وهو من النظم المتكلف جدا، ويستحب ان يكون التاريخ الشعري في عجز البيت، ومن ذلك ماقاله الشاعر حسن عبد الباقي الموصلي في تأريخ ولادة رجل يدعى زبير بن ابراهيم الجليلي وهي سنة ١١٤٨ هـ :

فيا زبير لك البشرى بخير أب ويا أباه بنجل بين الوطف

دعني أخص بمدحي مأموره (زهو الوجود زبيرا أحسن الخلف)

$$١١٤٨ = ٧٤١ + ١٠٩ + ٢٣٨ + ٥٠ + ١٨$$

المحاضرة الخامسة

٣- الزهد والتصوف

انتشر الزهد والتصوف كثيرا بعد سقوط بغداد، بعد الالهوال العظيمة التي اصابته الناس، فاتجهوا الى الله سبحانه كي يخفف عنهم المصائب ويدفع الفقر والحرمان ويعيد لهم الامان، أما شعر الزهد فقد بدأ في العصر العباسي على ايدي الزهاد، وقد بلغ الذروة عندهم، وازداد في العصر الوسيط وتميز بسهولة المعاني والبعد عن التعقيد، وكان اقلبه في الدعاء الى الله بالرحمة والعفو وغفران الذنوب، ومن ذلك قول ابي البركات محمد بن يحيى الرعي :

ولم أجد لي ملاذا سواك يكشف ضري

فلا تكني لنفسي واشرح الهي صدري

وعافني واعف عني وامنن بتيسير امري

بباب عفوك ربي انخت اينق فقري

فلا ترد سـؤالي واجبر بحقك كسري

وكان الشاعر الزاهد يرى الدنيا فانية ، فلا ينشغل بملذاتها، وان بقاءه فيها انما هي امانة عما قريب ستسترد ولذلك قال احدهم :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

كل ما فيها لعمرى عن قليل سيفوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ويتضح من الشاهدين سهولة ووضوح المعاني، واتخاذ الاوزان الخفيفة، اقتداء بشعر الزهد العباسي الذي يتزعمه ابو العتاهية الذي نظم زهدياته بلغة واضحة كي تصل الى الجمهور بسهولة، ولذلك استحسّن الناس والنقاد القدامى هذا الشعر، على خلاف موقفهم من شعر التصوف الذي كثر فيه استخدام الرموز والمصطلحات الصوفية ربما بتأثيرات خارجية غير عربية .

فقد اتجه المتصوفة الى استخدام معجم الشعر الغزلي تعبيرا عن عشقهم الالهي الذي هو غايتهم القصوى، أو حبهم للنبي الكريم (ص)، وقد انفرد بعضهم بأحد العشقين، وجمع بعضهم بين العشق الالهي والحب النبوي، وقد اتخذ شعرهم اسلوبين مختلفين للتعبير عن مواجدهم، ومايقاسونه من انفعالات، الاول : اسلوب التصريح الخالي من الرموز والالغاز، وهو شعر يسهل على القارئ استنتاج المقصود منه فهو اما في العشق الالهي ووصف جلال وجهه سبحانه، وكمال صفاته، وأما حب نبوي، اذ يصفون مناقب النبي الكريم ومآثره، والاسلوب الاخر: أسلوب الإشارة والتلويح وهو مليء بالغموض ويكثر فيه استخدام المجاز والاستعارة والكناية مما يزيده تلغيزا .

استعمل الشعراء المتصوفة الشعر الغزلي بما فيه من الفاظ وتعبير، وحتى اسماء محبوبات الشعراء مثل ليلى وسلمى وسعدى وبثينة كرموز وصولا لمعان الهية لايفهمها الا قائلها ومن يشاكلهم، وقد جاء استخدامهم لهذا الشعر لتقريب معانيهم الى الاذهان قدر الامكان، ومن ذلك قول عفيف الدين الياضي في العشق الالهي متخذا من اسماء مثل ليلى العامرية وسعدى :

قفا حدثاني فالفـــــــؤاد عليل عسى منه يشفى بالحديث غليل
 أحاديث نجد عللاني بذكرها فقلبي الى نجد أراه يميل
 بتذكار سعدى أسعداني فليس لي الى الصبر عنها والسلو سبيل
 ولا تذكر لي العامرية إنها يولهُ عقلي ذكرها ويزيل
 ولكن بذكري عرضا عندها فإن تقل كيف هو قولاً بذاك عليل
 فإن تعطفي يشفى وإن تعرضي ففي هواك المعنى المستهـام قتيل

ولم يكن للمتصوفة سوى العشق الالهي والحب النبوي، وهما الغاية الاسمى في حياتهم الفانية،
 والطريق الصحيح الى دار البقاء، فقد قال الشاعر يحيى بن يوسف الصرصري:

عطفاً على قلب بحبك دائم إن لم تصله تصدعت أعشاره
 وارحم كئيباً فيك يقضي نجه أسفا عليك وما انقضت أوطاره
 لا يستفيق من الغرام وكلما حجبوك عنه تهتكت اسراره
 ما اعتاض عن ذكر الحمى ظلاً ولا طابت بغير حديثكم أسماره
 هل عائد زمن تضوع نشره أرجا ورقت بالرضا أسحاره

وكان الشعر الصوفي كثيراً ما يتضمن ذكر البقاع الحجازية وتعداد اسماءها والحنين اليها
 والى ساكنها الرسول الكريم، ومن ذلك قول جمال الدين محمد بن الحسين :

أنا العاني الكئيب المستهـام منامي بعد بعدكم حرام
 رشقتم مهجتي بسهام لحظ أصابت مقتلتي تلك السهام
 تناءى الصبر عني مذ رحلتكم وحالفني لفقدكم السقام
 ورام عواذلي سلوان قلبي وذلك في هواكم لأـرام

أأسلو حبكم يا أهل نجد وحشو جوارحي نار ضرام
ترى ياساكني وادي المصلى أراكم قبل يفجؤني الحمام
فبين قبابكم قلبى أسير وبين خيامكم دمعي سجام
ينوح إذا حدا حادي المطايا ويندب كلما ناحت حمام

المحاضرة السادسة

الفنون الشعرية المستحدثة

شهد العصر العباسي ظهور مجموعة من الفنون الشعرية الجديدة تختلف عن الشعر التقليدي المعروف، لم تكن موجودة فيما سبق، وقد تطورت في العصر الوسيط ولاقت رواجاً كبيراً، وبعض هذه الفنون عربي والأخر غير عربي، وأغلبها ملحون ولايجري على طريقة العروض العربي، وسبب نشوئها اختلاط الاجناس في المدن العربية، واختلاف الثقافات والعادات، وهي سبعة فنون هي : **الدوبيت** **والموشح** **والزجل** **والموالي** **والكان** **وكان والقوما** **والبند** .

ويعد صفي الدين الحلي أول من اهتم بهذه الفنون وجمعها في كتابه (العاقل الحالي والمُرَخَّص الغالي) ماعدا فن البند، وأشار الى أن أغلبها بعيدة عن قواعد النحو والصرف والفصاحة وانها تعتمد على الالفاظ العامية .

١-الدوبيت

هو لفظ فارسي معناه البيتان، ظهر في مدينة سمرقند التابعة لما يسمى بلاد ماوراء النهر في القرن الرابع الهجري، ومخترعه هو الشاعر جعفر بن محمد بن

حكيم السمرقندي الروذكي (٣٢٩هـ) وتبعه شعراء كثر مثل عمر الخيام صاحب الرباعيات المشهورة، وعبد الرحمن الجامي (٨٩٨هـ)، وهو فن فصيح غير ملحون يسميه العرب (الرباعي)، ويتكون من أربعة مصاريع ، يكون للمصراع الاول والثاني والرابع قافية واحدة، وقد شاع استخدامه في العراق والشام ثم مصر، ووزنه الغالب هو :

فَعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعْلُنْ

وقد شاع استخدام الدوبيت كثيرا في البلاد العربية ونظم فيه العشرات من الشعراء منذ القرن الخامس الهجري، كما يرى الدكتور كامل مصطفى الشبيبي في كتابه (ديوان الدوبيت في الشعر العربي) ومن هؤلاء الشهاب السهروردي، وابن النبيه المصري، والعماد الاصبهاني، والشاب الظريف، وصفي الدين الحلبي، وفتيان الشاغوري، والبهاء زهير وغيرهم، وقد طرق الشعراء اغراض متعددة في فن الدوبيت كالغزل والجهاد والزهد والتصوف وغيرها، فمن الغزل قول فتیان الشاغوري :

الورد بوجنتيـك زاهِ زاهر والسحر بمقلتيـك وافٍ وافِر

والعاشق في هواك ساهِ ساهر يرجو ويخاف فهو شاكٍ شاكر

وقد نظم القاضي نظام الدين محمد الاصبهاني ديوانا كاملا في هذا الفن سماه (نخبة الشارب وعجالة الراكب) يحوي ٥٤٣ دوبيتا على حروف الهجاء جميعا، تتوزع بين العشق والتصوف ومنه قوله :

دعني وتنسني صبا الاشواق ماالعيش سوى رياضة الاخلاق

لا أرغب عن مصارع العشاق إن مـتُّ على ذاك فإني باق

وقد أكثر الزهاد والمتصوفة المتأخرون من نظم الدوبيت ومنهم فضولي البغدادي
الذي يقول :

الحمد لمن أنار قلبي وهدى والشكر لما فيه من الشوق بدا
مأمدح واهباً سواه أبداً لا أشرك في ثناء ربي أحدا

٢ - الموشح

فن شعري يتكون من أدوار وقواف محددة، سمي بذلك لأنه يشبه الوشاح وهو
أشبه بقلادة من نسيج عريض مرصع بالجوهر تشده المرأة على عاتقها، وقد ظهر
في الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري وعبروا فيه عن مكنونات أنفسهم، واختلفوا
في مبدعه بين من يقول انه محمد بن محمود القبري، أو مقدم بن معافر الفريري،
وسبب ابتداعه هو الرغبة في الخروج عن الاوزان الشعرية التقليدية وميل أهل
الاندلس الى الرقة والطرب والغناء وهذا يتطلب الخروج عن الاوزان التقليدية
الصارمة، وقد بدأوا باستخدام الاوزان العروضية الخفيفة كالرمل والهزج وغيروا قوافيها
فنشأ لديهم الموشح، ثم توسعوا في ذلك وتجاوزوا الاوزان والقوافي .

وكان النظم في الموشح اولاً من نصيب الشعراء الظرفاء بداعي اللهو والتسلية،
ثم انتشر بعد ذلك ونظم فيه حتى الحكماء والواعظين والفقهاء وكذلك المتصوفة
ومنهم الشيخ محيي الدين ابن عربي، وينظم الموشح بالفصحى والعامية، أما
الموشحات الفصيحة فتجري على العروض العربي بينما تخرج الموشحات العامية
عن العروض، وذلك لأنها تؤثر التسكين على التحريك، وكلا النوعين متعدد القوافي،
وقوافيهما متناوبة وفق شكل معين وعادة ماتختتم الموشحة بلفظة عامية .

انتقل الموشح الى بلاد المشرق أواخر القرن الخامس الهجري، ويمكن القول ان الشاعر المصري ابن سناء الملك هو من ادخله الى المشرق، ويقال ايضا انه انتقل بوساطة رحلات العلماء والادباء، وكانت مصر سباقة في الموشح واشهر من نظم فيه ظافر الحداد الاسكندري وابن قلاقس وهما من القرن السادس الهجري، غير ان اشهر شعراء الموشح المصريين هو ابن سناء الملك الذي وضع كتابا سماه (دار الطراز في عمل الموشحات) وهو يمثل تطورا في الموشح المشرقي ومنافسته للموشح الاندلسي فنيا، وهو يقارن بين موشحاته وموشحات الشعراء الاندلسيين، وقد زاد ابن سناء عدد اجزاء الموشح الواحد الى أحد عشر بدل ثمانية اجزاء وهو العدد الذي وضعه الاندلسيون .

ومن أمثلة الموشحات المشرقية قول خليل بن ابيك الصفي:

ياصبا مسكية النفس أنت قد جددت لي الولعا

كانت الأحشاء قد خمدت

وسيول الدمع قد جمدت

وأياي الصبر قد حمدت

ثم لما سرت في الغلس بان صبري والسلو معا

كيف أحبابي، هل اذكروا

من به قد أودت الفكر

وشكوا بلواه أو شكروا

وهل العهد القديم نسي فالوفا والبعد مااجتمعا

وعادة ماتكون الموشحة أقصر من القصيدة العمودية، لأنها مرتبطة بالموسيقى والغناء، ولأنها تغنى في مجلس واحد، ومن هنا كان يجب تغيير وزنها وقافيتها، وتنقسم الموشحة من حيث الوزن الى قسمين : الاول يجري مع اوزان الشعر المعروفة، والثاني لاوزن له وهو الاكثر، وقد نظم الوشاحون في اوزان كثيرة لاحصر لها، وتتسم الموشحات الاندلسية بالتساهل في اللغة الفصحى لارضاء اذواق المستمعين، بينما كانت الموشحات المشرقية اكثر تشددا في لغتها وان لم تخل من اللحن .

أجزاء الموشحة

- ١- **المطلع** : كل موشح يحوي مطلعاً يسمى تاماً، وإذا كان خالياً من المطلع يسمى أقرع، ومثال الموشح التام موشح الصفدي المذكور .
- ٢- **القفل** : وهو يشبه المطلع في الوزن والقافية، وليس له عدد محدد وأقل عدد هو خمسة أفعال، ويتكون القفل الواحد جزأين فأكثر الى ثمانية أو عشرة .
- ٣- **الغصن** : هو القسم الواحد من المطلع والقفل والخرجة، وقد يكون جزأين أو ثلاثة أو أربعة .
- ٤- **الدور** : يأتي بعد المطلع إن كان الموشح تاماً، وقد يأتي أولاً إن كان الموشح أقرع، وادنى ما يكون ثلاثة اجزاء، وقد يزداد فيكون أربعة أو خمسة ولايتجاوز ذلك الا نادراً .
- ٥- **السمط** : هو القسم الواحد من الدور، ويكون مفرداً كما في موشحة الصفدي وقد يكون من فقرتين أو ثلاث أو أربع .
- ٦- **البيت** : هو الدور مع القفل الذي يليه .
- ٧- **الخرجة** : هي اخر قفل في الموشح، والقفل والخرجة ركن اساس في الموشح وبدونهما لا يستوفي الموشح شروطه، وتكون الخرجة ملحونة غالباً، وهذا من محاسنها، وهي تعني عند بعض النقاد الخروج من الكلام الفصيح الى الملحون .

وقد طرقت الموشحات المشرقية أغراض كثيرة فضلا عن الغزل، كالمجون والخمر والمديح والهجاء والرياء والزهد والتصوف والاخوانيات، وتتميز الموشحات المشرقية بالاغراق في استخدام فنون البيان والبديع ولاسيما التورية، ومنهم مثلا ابن نباتة المصري، وقد استمر المشاركة بنظم الموشح والتفنن فيه حتى بعد سقوط الاندلس وصولا الى القرن التاسع عشر الميلادي .

المحاضرة السابعة

٣- الزجل

الزجل في اللغة اللعب والجلبة ورفع الصوت، وربما سمي الغناء زجلا، وهو فن يعتمد على الغناء والحركة حتى يلتذ به سامعه، فالحركة والغناء ضروريان لفهم اوزان الزجل، ومعرفة قوافيه والتلذذ به .

وهو فن أندلسي نشأ في اواخر القرن الرابع الهجري على يد بعض الزجالة واشهرهم الزجال أخطل بن نمارة، وقد وصل الزجل اوج ازدهاره في القرن السادس الهجري على يد الشاعر ابي بكر بن قزمان وهو شيخ الزجالين، ثم مال الزجل الى التصوف والزهد في القرن السابع الهجري بسبب المحن والمصائب التي اصابته الاندلس، وانتقل الزجل الى المشرق ودخل الى مصر اولا بسبب قريها من المغرب، ثم انتقل الى الشام والعراق، وقد اعتنى به صفي الدين الحلي كثيرا فجعله اول الفنون المستحدثة في كتابه (العاطل الحالي) وهو يرى ان الزجل ارفع هذه الفنون رتبة واشرفها وأكثرها أوزانا، ومازالت قوافيه تتعدد وأوزانه تتجدد .

قسم الحلي الزجل الى اربعة أقسام متشابهة في الوزن ويفهم الفرق بينها من المضمون، يسمى الاول (الزجل) ويتضمن الغزل والنسيب والخمرة ، ويسمى الثاني (بليقا) ويتضمن الهزل والخلاعة، ويسمى الثالث (قرقيا) ويتضمن الهجاء والمثالب، ويسمى الرابع (مُكفرا) ويتضمن المواعظ والحكمة .

والزجل فن ملحون غير معرب، يغلب عليه التسكين ويصلح للغناء، وينظم على بحور الشعر المعروفة وبحور أخرى اخترعها الزجالة، ويتكون البيت فيه من أربعة أشطر أو مصاريع، تكون ثلاثة منها على روي معين، والرابع من روي مغاير، وعادة مايشيع الجناس في القوافي الثلاث الأولى، وهو يشبه الموشح من ناحية احتوائه على الاقفال، وكل قفل يحوي على بيتين، ويكون للبيت الواحد رويان الاول للبصدر والآخر للعجز .

شاع الزجل كثيرا في مصر ومن شعرائه المشهورين في مصر الشاعر عبد الملك بن الاعز الاسنائي الذي يقول

جفوني ماتنـام إلا لعلي أن اراك

فزني قد براني الشوق ياغصن الأراك

وطرفي مارأى مثلك وقلبي قد حواك

فهو لم يزل مسكن فسبحان الذي أسكن وحسبك كم به أفتن

وماقصدي سـواك

حبيبي آه ماأحلى هواني في هواك

فخلّ الصد والهجران ولا تسمع ملام

وصلني يا قضيـب البان ففي قلبي ضرام

وجُد للهائم الولهان يابدر التمام

وزُر ياطلعة البدر ودع يا قاتلي هجري وأرفق قد فني عمري

وعُد ايام وفاك

واسمح أن أقبل يا مليح بالله فاك

وبعد مصر شاع الزجل في الشام ونظم فيه عامة الناس وخاصتهم، وعبروا عن احساسهم ومشاعرهم، وازداد عدد الزجالة الشاميين ومنهم شهاب الدين احمد الامشاطي، وعلي بن مقاتل الحموي، وابن حجة الحموي، ثم وصل الزجل في العراق وأقبل عليه الشعراء، ويرى صفي الدين الحلي ان الازجال البغدادية رقيقة وكانت تنظم بألفاظ لطيفة، وباللهجة العامية، باستخدام الامالة والإدغام وتبديل حرف بأخر جريا على عادة الكلام البغداي الملحون، وقد شاع فيها المجون والتهتك والخلاعة، ومن هؤلاء الشاعر تقي الدين علي بن العزيز البغداي، وصفي الدين الحلي الذي جمع في ازجاله بين حلاوة الزجل المصري ولطافة الزجل الشامي وظرافة الزجل العراقي، فقد وضع مثلا زجلا يقوله المسحراتي في ليالي رمضان وفيه مدح لملك مدينة ماردين :

أنت يا قبله الكرام	زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام	ويعيدك على السنين
أنت شامه بين الأنام	الله يحرس شمايلك
ويؤيدك بالدوام	تانعش في فواضلك
وتا نظوي ذكر الكرام	لما ننشر فضايلك
ونهنيك بكل عام	والخلائق تقول أمين

المحاضرة الثامنة

٤ - المواليا

هو فن اخترعه أهل واسط في العصر العباسي في أواخر القرن الثاني الهجري ، وأول من نظم فيه هم خدم البرامكة عندما رثوا اسيادهم، حيث منع هارون الرشيد رثاء البرامكة بالفصحى فراح هؤلاء الخدم يرثون البرامكة بألفاظ غير معربة وينهون كل مقطع بقولهم (ياماليا) ، وكان

ينظم على بحر البسيط بألفاظ جزلة قوية مثما ينظم الشعر الفصيح ويطرق فيه موضوعات الغزل والمديح والرتاء وغيرها، ثم انتقل بعد ذلك الى بغداد فلفظه الشعراء ورققوه وحذفوا الاعراب منه، حتى نسب الى أهل بغداد والصحيح أنه واسطي .

يتكون المواليا من اربعة مصاريع متشابهة الأواخر ساكنة الروي، ولايلتزم بضوابط الاعراب ومنه مثلا قول أحد الشعراء البغداديين :

ظفرت ليله بليلى ظفرة المجنون

وقلت وافي لحظي طالـع ميمون

تبسمت فأضـاء اللؤلؤ المكنون

صار الدجى كالضحى فاستيقظ الواشون

وقد شاع هذا الفن في اواخر العصر العباسي وانتشر اكثر في العصر الوسيط ونظم فيه العديد من الشعراء ومنهم عز الدين الموصلي ومجد الدين اسعد بن ابراهيم النشابي، وصفي الدين الحلبي، فمما قاله الحلبي في العتاب :

عني تسليت وأسياف الهجر سليت

ومذ توليت عن طرق الوفا وليت

لما تمليت بالأعمال لي مليت

إذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقد تفنن المصريون فيه ونظموه على لهجتهم بلا اعراب ونظم فيه كثير من شعرائهم كابن الفارض وأحمد بن علي الحجازي وبدر الدين الزيتوني، وعبد العزيز بن عبد الغني وهو شاعر متصوف تنسب له هذه المواليا :

لم تدعي الذوق والوجدان والأحوال

وأنت خالي من الإخلاص في الأعمال

ارجع لجسمك فسم البين لك قتال

ترمي حجر مايشيله خمس ميت عتال

وشاع ايضا لدى اهل الشام وغناه المطربون ومن شعراء المواليا نذكر خليل بن ابيك الصفدي وعز الدين ابراهيم بن محمد ابن السويدي وابن حجة الحموي، واستخدموه في الحرب، ويلاحظ ان المواليا المصري والشامي متشابهان بسبب خضوع البلدين للحكم الايوبي ثم الحكم المملوكي لمئات السنين .

٥- الكان وكان

فن اخترعه البغداديون في القرن الخامس الهجري ثم شاع في البلدان العربية، وسبب تسميته أنهم يقولون في أول الحكايات (كان وكان) للدلالة ان هذه الحكايات لأساس لها، وقد ابدع فيه اهل بغداد ولم يجاريهم فيه أحد، ونظموا فيه الحكايات والخرافات، وهو فن ملحون يتكون من اربعة اشطر مختلفة وينتهي الشطر الاخير بحرف علة، وتسمى الاشطر الاربعة بيتا ووزنه هو:

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعلا

وعادة ماتنظم فيه المواعظ والحكم والزهديات والأمثال، ونظم فيه كبار العلماء والفقهاء كجمال الدين ابن الجوزي وشمس الدين الواعظ ولذلك فقد انتشر كثيرا بين الناس، ونظم فيه صفي الدين الحلي ايضا وهو القائل :

أي سادة هجروني وهم نزول بخاطري

لا أوحش الله منكم في سائر الأوقات

أوحشتهم العين مني وإنكم في خاطري

والقلب في النور منكم والعين في الظلمات

قد انتهى الصبر مني ومابقى في رمق

هيهات أني أحيا من بعدكم هيهات

ثم شاع بعد ذلك في مصر وسمي بـ(الزكاش) أيام الفاطميين، ومن شعرائه شرف الدين بن
أسد وبدر الدين الزيتوني وإبراهيم المعمار، ومنه قول أحد الشعراء

النار بين ضلوعي ونا غريق في دموعي

كني فتيلة فتدبل أموت غريق وحريق

ولم يكتب للكان وكان أن يشيع في الشام كثيرا، ونظم فيه قلة من شعراء الشام، ومنهم علي
بن الحسن الحريري وعمر بن الوردي، ولم يتقن أهل الشام النظم فيه كما فعل العراقيون، ومن
أمثلته الضعيفة قول ابن الوردي في مرض الطاعون الذي انتشر في الشام :

أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب

باروده المستعلي قد طار في الاقطار

المحاضرة التاسعة

٦ - القوما

فن بغدادي ظهر في القرن السادس الهجري على يد أبي بكر محمد بن عبد الغني المعروف
بـابن نقطة (٦٢٩هـ)، والغاية منه إيقاظ الناس وقت السحور، وكان العاملون على التسخير
يقولون في آخر كل بيت (قوما للسحور) لتنبيه أرباب المنازل ومدحهم والدعاء لهم وطلب
المكافأة، ثم لما شاع القوما صار يستخدم في الغزل والعتاب وأغراض أخرى .

وكان الخليفة العباسي الناصر لدين الله يجزل العطاء لابن نقطة، فلما توفي خلفه ولده وكان ماهرا في نظم القوما وأراد أن يبلغ الخليفة بموت أبيه فاستغل شهر رمضان وقف قرب قصر الخليفة فغنى بصوت جميل وطرب له الخليفة ونظم القوما التي تقول :

ياسيد السادات لك بالكرم عادات
انا بني ابن نقطة تعيش ابويا مات

فاجب الخليفة به وخلع عليه واجزل له العطاء، وكان القوما ينظم بالفصحى والعامية، وغالبا ماكان خارج اوزان الشعر المعروفة، وهو يتضمن معاني جديدة وغريبة ، ويتكون من اربعة اشطر يكون الاول والثاني والرابع بقافية واحدة، بينما يكون الشطر الثالث اطولها وبدون قافية، وتسمى الاشطر الاربعة بيتا، وهو على وزن (مستفعلن فعلا ن أو (فاعلان)، وأغلبه في المديح، ومنه قول صفي الدين الحلي مادحا ملك حماة في شهر رمضان :

لازال سعدك جديد دايم وجدك سعيد
ولا برحت مهني بكل صوم وعيد

في الدهر أنت الفريد وفي صفاتك وحيد
فالخلق شعر منقح وأنت بيت القصيد

لا زلت في تأييد في الصوم والتعبيد
ولا برحت تهني في كل عام جديد

وقد استخدم الحلي اسلوبا سهلا ميسورا في المدح، وتضمن نعتة بالعظمة ووصفه بالجواد ودعا له بطول العمر وهذه هي المعاني التقليدية للمدح .

ولم ينتشر القوما كثيرا في مصر وبلاد الشام مثلما انتشر الموشح والدوبيت والزجل، ويعد بدر الدين الزيتوني اشهر من نظم القوما في الشام ومنه قوله وهو قريب من الزجل :

في نظم قوما أقول

وابداً بمدح الرسول

فيه امتداحي يطول

فقد عجز عن مديحه أهل الربي والبطاح

نظمي يقر العيون

عند الكرام العيون

في القلب ينبع عيون

فاشرب وروي واروي عني فنون اقتراح

٧- البند

فن نشأ في جنوب العراق في القرن الحادي عشر للهجرة، ثم شاع في الخليج العربي، ويكتب على هيئة النثر على وزنين متداخلين هما الهزج والرمل دون الخروج عن العروض العربي، وهو يشبه الشعر الحر من زاوية انه يعتمد على التفعيلة وليس الشطر، وقد نظم فيه كبار الشعراء العراقيين مثل أبي معتوق الموسوي، وعبد الغفار الاخرس، ومحمد ابن اسماعيل المقلب بابن الخلفة، وعلي بن باليل الدورقي وغيرهم .

وينشد العراقيون البند بطريقتين : أما بإعراب أواخر الكلمات وهذه هي الطريقة السريعة، أو الوقوف اختيارا في مواضع القوافي حيثما يمكن الوقوف، وهذا يكسب البند رشاقة وظرفا

وموسيقى، لانجدها في الفنون الاخرى الخارجة عن العروض كالموشح مثلاً، والطريقة الثانية هي الاوسع انتشاراً .

وقد توسع الشعراء في نظم البند مثل الشاعر علي بن باليل الدورقي وهو من ابرز شعراء الاحواز، وقد جمع قسماً من بنوده في كتاب وعددها ١٥٣ بنداً على بحر الرمل في الغزل والمدح، واضعاً في كل بند ٤٠ كلمة اسماً أو فعلاً أو حرفاً، مشيراً في كل واحد الى مسألة علمية او صناعة بديعية .

يطرق البند الموضوعات التقليدية كالمديح والغزل والهجاء والوصف وغيرها، ومنه قول عبد الغفار الاخرس في مطلع احد البنود المدحية وهو مطلع غزلي : (محبٌ ذائب الدمع، رماه البين بالصدع، بكى من حرقة الوجد، على من حفظ العهد، وخشف ناعم الخد، مليح عبل الردف، صبيح لين الوطف ، أدار الكاس والطاس، وحاكى الورد والآس، لعمري منه خدا وعذارا، ولقد طالت عليه حسراتي بعدما كانت قصارا) .

المحاضرة العاشرة

شعراء العصر الوسيط

١- شمس الدين الواعظ الكوفي

هو محمد بن احمد بن عبيد الله الهاشمي، ولد في الكوفة سنة ٦٢٣هـ، وهو من أسرة تحب الادب والعلم، درس علوم اللغة وأدابها، عمل مدرساً وخطيباً وواعظاً في بغداد، وكان يدعو في خطبه الى التمسك بالدين والتكاتف ويحذر من الاعداء، وحين غزا المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ قتلوا ودمروا ونهبوا كل ماصادفهم، فكان وقع ذلك على الكوفي عظيماً، فرثى في شعره بغداد ودولة بني العباس ووصف فظائع المغول، توفي شمس الدين في بغداد سنة ٦٧٥هـ .

طرق الكوفي في شعره الرثاء والغزل والوصف، وكان الغالب فيه هو الرثاء، فقد رثى أصحابه وأهله بقصائد صادقة تفيض صدقا، وبكى بغداد وما آل إليه حالها، ومن رثائه لأحبته بعد دمار بغداد :

عندي لأجل فراقكم آلام فالآلم أعذل فيكم وألأم
من كان مثلي للحبيب مفارقا لاتعذلوه فالكلام كلام
نعم المساعد دمعي الجاري على خدي إلا إنه نمّـام
قف في ديار الظاعنين ونادها (يادارُ ما فعلت بك الأيام)

وهو مقطع غزلي يشابه شعر العشاق المتيمين، وقد استمر على هذه الوتيرة في القصيدة، اي بكاء الاحبة دون الالتفات الى حال بغداد من دمار وخراب:

ياليت شعري كيف حالُ أحبتي وبأي أرض خيموا وأقاموا ؟
ما لي أنيس غير بيت قاله صبّ رمتُهُ من الفراق سِهَامُ
(والله ما اخترتُ الفراق وإنما حكمت عليّ بذلك الايام)

وهكذا كانت كل قصائده في رثاء بغداد، فهي بكاء على الاحبة الراحلين، والجزع على فراقهم، وتمني الموت بعدهم، ويلاحظ في شعر الكوفي كثرة استخدام الفنون البديعية وخاصة الجناس والطباق والمقابلة كقوله :

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ومدة الهجر نفنيها وتفنينا
كنا جميعا وكان الدهر يسعدنا والكائنات بكأس الامن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسدين بنا بما جرى واشتفت منا أعادينا
فصار يرحمنا من كان يأملنا وعاد يبعدنا من كان يغلينا
وبات يخذلنا من كان ينصرنا وصار يرخصنا من كان يغلينا

وفضلا عن الرثاء تميز الكوفي بما يسمى (الغزل الصوفي) الذي يتضمن الحنين الى الديار الحجازية والتغني بها ومدح النبي وأصحابه، على طريقة الشريف الرضي في (الحجازيات)، وهو شعر يتسم بالصفاء والعاطفة الصادقة، ومنه قوله :

ترى هل لنا بعد الفراق تآلفٌ وهل لي الى طيب الوصال وصولٌ
لأشكو إليه ما لقيت وما الذي جرى لي ودمعي شاهد ودليلٌ
فوالله ما يشفي المشوق رسالة ولا يشتكي شكوى المحب رسول

وهو هنا يشرح عذاب المحب وآهاته وسهاده وعدم سكونه، وهذا قريب من شعر المتصوفة،
الذين يحاولون بعذابهم ووجدهم الوصول الى ذات الله تعالى، ومن الطبيعي أن يزخر هذا النمط
الشعري بمصطلحات المتصوفة كقوله مثلا :

ماللقلوب سوى الحبيب أنيس هو للفؤاد منادم وجليسٌ
لا يدرك المعقول لطف جمال من أهوى فكيف يناله المحسوسُ
كم قد كتبت إليه قصة غصتي بمداد دمعي والحدود طروسُ
دمعي بذكرك مطلقٌ ومسلسلٌ وصبابتي وقف عليك حبيس

وقد أبدع الكوفي في الوصف ايضا، ومن ذلك مثلا قصيدة رائية تناول فيها الربيع ببهجة
أزهاره ورياحين بساتينه الندية وروعة اطياره الشجية :

والطل من فوق الرياض كأنه درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربى بالنور بين متوج ومدملج ومخلخل ومسور
والورق بين مرجع وموجع ومفجع ومسجع في منبر

١ - شرف الدين البوصيري

اشهر شعراء المديح النبوي في العصر الوسيط، ولد بصعيد مصر سنة ٦٠٨هـ، وقد تعلم
القراءة والكتابة وحفظ القرآن وقرأ اللغة والادب العربي، وانتقل الى القاهرة ودرّس في الجوامع
قراءة القرآن وتجويده، ودرس التصوف وعمل كاتباً وجابياً، ثم انقطع الى تحفيظ القرآن، وطال به
العمر وأصيب بمرض أقعده عن الحركة وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٩٥هـ .

نظم البوصيري شعرا كثيرا في أغراض كثيرة فضلا عن المديح النبوي، فهو يصف حال المجتمع، ويشكو حاله، وينتقد الفاسدين، ويطرق الشعر الصوفي بكثرة، وينظم في الغزل والدعابة وغيره من الموضوعات، ويلاحظ تفاوت المستوى الفني في شعره، فهو حين يهجو الموظفين في دواوين الكتابة في صعيد مصر يستخدم لغة سهلة :

انظر بحقك في أمر الدواوين فالكل قد غيروا وضع الدواوين

لم يبق شي على ماكنت تعهده إلا تغير من عال الى دون

الكاتبون وليسوا بالكرام فما منهم على المال إنسان بمأمون

وقد يهبط أسلوبه الى درجة كبيرة حين يشكو فقره وكثرة عياله الى أحد الوزراء :

اليك نشكو حالنا إننا عائلة في غاية الكثرة

أحدث المولى الحديث الذي جرى عليهم بالخيط والإبرة

صاموا مع الناس ولكنهم كانوا لمن يبصرهم عبره

وأقبل العيد وما عندهم قمح ولا خبز ولا فطره

وهو شعر شعبي متدن أشبه بالاستجداء، فيه من السخرية والدعابة الكثير، ويكشف عن روحية الشعب المصري الميالة للدعابة، ونجد في شعره الهجاء اللاذع، ومديح رجال الدولة الذي يحوي مبالغات كثيرة لكسب المال، أما الجانب الرصين من شعر البوصيري فنظمه في أواخر حياته، ويتضمن الشعر الصوفي والمديح النبوي، وهي (١١) قصيدة، وأشهرها ثلاث قصائد هي الهمزية التي تناولت سيرة الرسول الاكرم وتقع في (٤٥٧) بيتا ومطلعها :

كيف ترقى رقيق الانبياء ياسمـاء ماناولتها سماء

وقصيدة لامية عارض بها بردة كعب بن زهير تقع في (٢٠٤) أبيات وسماها (نخر المعاد في معارضة بانث سعاد) ومطلعها :

الى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

والقصيدة الثالثة هي أشهر قصائده على الإطلاق وقد انتشرت انتشارا عظيما، وهي (البردة) التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ويقال ان البوصيري حين نظم القصيدة كان مصابا بالفالج وقرأها على الرسول الاكرم (ص) في منامه، فأعجب بها الرسول والقي بردته على البوصيري فانتبه من نومه فإذا هو معافى، وهي قصة خيالية لانصيب لها من الصحة، ولكن القصيدة أعجبت عشرات الشعراء فعارضوها وشطروها وخمسوها وشرحوها، وقد ترجمت الى لغات كثيرة كالتركية والفارسية والانكليزية والفرنسية والايطالية والالمانية وغيرها، وقد وصف البوصيري في بردته شمائل الرسول وسيرته، وشيء من الوعظ والارشاد ومنها قوله في المطلع :

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

أحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعاً على ظلل ولا أرقى لذكر البان والعلم

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقتني والحب يعترض اللذات بالألم

وهو مطلع غزلي رقيق أجاد فيه البوصيري، وذكر فيه ايضا الديار النجدية وتشوق الى أهلها، ومن مديحه في النبي قوله :

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الأمر الناهي فلا أحد أبر في قول «لا» منه ولا «نعم»

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مفتحم

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتصق غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ

المحاضرة الحادية عشرة

٣- جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري

شاعر عراقي ولد في بغداد سنة ٥٨٨ هـ ، درس علوم الحديث والفقه واللغة، اشتهر بالمدائح النبوية، وقاوم المغول بعد غزوهم لبغداد حتى قتلوه سنة ٦٥٦ هـ ، وقد خلف وراءه الكثير من الشعر التعليمي في الفقه والتاريخ ، ويتميز شعره بالروح الصوفية المميزة ، وكان مطيلاً في مدائحه النبوية إذ يبلغ عدد أبيات قصيدته المسماة (الروضة الناضرة في أخلاق محمد المصطفى الباهرة) ٨٥٠ بيتاً، ويكمن سبب تفوق الصرصري في المدائح النبوية الى أمرين :

١- افادة الصرصري من شعر المديح النبوي الذي سبقه من حيث المصطلحات وبنية القصيدة .

٢- نضج التوجه الصوفي لدى الصرصري، وقد ظهر ذلك من خلال مشاعره الدينية الصادقة .

وتتكون قصائد الصرصري في المدح النبوي من اجزاء متعددة هي :

أ- المقدمة / وهي متنوعة فقد يبدأ بتسبيح الله تعالى، وذكر نعمه، وجمال صنعه كقوله

سبح لربك في الظلام الداجي واذكره ذكر مواظب لهـاج

سبحان من رفع السموات العلى سبعا وزان السقف بالأبراج

والأرض مهدّها وأرسى فوقها الد اطواد تمنعها من الإزعاج

وقد تكون المقدمة في ذكر البقاع الحجازية، والرحلة اليها والشوق الى ساكنيها كقوله :

رحلنا الى دار النبوة والهدى نروم إمام المتقين محمدا

فبشرنا نور الربيع بأننا سنلقى إمام المتقين محمدا

وقد تكون المقدمة في ذكر الشيب والبكاء على الشباب الذي أفناه باللهو وارتكاب المعاصي، وربما جاءت المقدمة في الحب الالهي، أو الحب المحمدي، وهو يستعين دائما بالمصطلحات الغزلية التي يلبسها الطابع الصوفي، ولذلك تجلت في مقدماته اللوعة والاسى .

ب- مدح النبي (ص) وذكر اخلاقه ومناقبه وهذا الجزء هو الاطول في قصائده المدحية، وتناول فيه جميع جوانب شخصية النبي(ص) ومراحل حياته ومعاجزه ومنزلته عند الله سبحانه وصفاته المعنوية، فهو مثلا حين يتكلم عن خلق الله سبحانه للنبي (ص) يقول :

من فضة بيضاء طينة أحمد من تربة أضحت أعز مكان
عجنت من التسنيم بالماء الذي زادت به شرفا على الأبدان
غمست بأنهار النعيم فطهرت وتعطرت وسمت على الاكوان
وغدت يطاف بها السموات العلى والارض تشريفا من الرحمن

ت-العنصر الاخير هو التوسل ويأتي في ختام القصيدة، وفيه يمدح النبي(ص) ويدعو له ويتوسل اليه ويعرض حاجاته، فضلا عن دعائه الله :

حصن النجاة محمد فيه الوز واستجير
فلنعم مولى المؤمنين وإنه نعم النصير
جاء الأنام بشـرعة فيها هدى لهم ونور
وبجاهه نرجو النجاة إذا أتى اليوم العسير
وله الشفاعة تنقذ الخ طاء من نار تفور

٤- صفي الدين الحلي

ولد في مدينة الحلة سنة ٦٧٧هـ وفيها نشأ وترعرع، وهو من أسرة مرموقة ظل يفتخر بها في شعره، درس علوم العربية، وتعلم الفروسية والصيد في شبابه، وحدثت خصومة بين قبيلته وقبيلة

أخرى أدت الى مقتل خاله، فرثاه بشعره وحث قومه على الثأر، فوقعت معركة كبيرة اشترك فيها الحلي وأبلى فيها بلاء حسنا وذكرها في قصيدته المشهورة :

سلي الرّماح العوالي عن معالينا واستشهدى البيض هل خاب الرّجا فينا

إنا لقوم أبـت أخلاقنا شرفا أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا

بيض صنائعنا، سود وقائعنا خضر مرابعنا، حمر مواضينا

وغادر الحلي مدينته وتقل في دول كثيرة يمدح فيها الملوك والامراء منها ماردين ومدح فيها ملكها المنصور بـ ٢٩ قصيدة، تحوي كل قصيدة ٢٩ بيتا وسماها (درر النحور في مدائح الملك المنصور)، ومدح ولده الملك الصالح بقصائد سماها (الصالحيات)، وتقل في مدن أخرى كحلب وحماة ودمشق وزار الحجاز للحج، ومكث في القاهرة طويلا والتقى بعلمائها وادبائها كابن نباتة المصري والصفدي، وعاد الى بغداد في أواخر حياته وتوفي فيها سنة ٧٥٠ هـ .

وضع الحلي مجموعة كتب أشهرها (العاطل الحالي والمرخص الغالي)، ومعجم (أغلاطي) عن الاخطاء الشائعة، و كتاب (الدر النفيس في أجناس التجنيس) وله رسائل كثيرة، ويعد أشعر شعراء عصره بسبب تميزه على صعيد المعاني والالفاظ، وقد طرق أغراض كثيرة في شعره، ويعد المديح اكثر الاغراض في شعره، ومنها مثلا مديحه في النبي (ص) كقوله :

بكم يهتدي يانبي الهدى وليّ الى حبكم ينتسب

به يكسب الاجر في بعثه ويخلص من هول مايكتسب

وقد أم نحوك مستشفعا الى الله مما اليه نُسب

وله مدائح كثيرة في الملوك والامراء، ويلاحظ في هذه المدائح طول النفس، والمبالغة وعدم الصدق، وطول المقدمات الغزلية حتى تبلغ نصف القصيدة، وعدم الخروج عن المعاني المتوارثة في المديح كالشجاعة والكرم والاقدام .

أما غزله فقد خصص له جانبا كبيرا من قصائد المدح، وهو بين العفيف والماجن، وهو غزل تقليدي يسير على نهج الشعراء العباسيين، فمن غزله العفيف قوله :

ياضعيف الجفون أضعفت قلبا كان قبل الهوى قويا ملها

لاتحارب بناظريك فـؤادي فضعيفان يغلبان قويا

وهما بيتان فيهما جمال الاسلوب وسلامة الطبع وصدق العاطفة .

أما الوصف فكان الحلي بارعا فيه من حيث تصوير الحقائق والمروج والقصور والطيور
وحيوان الصيد ومجالس اللهو والشراب، وأدوات الطرب ، ومن ذلك قوله في وصف الربيع :

ورد الربيع، فمرحبا بـوروده وبنور بهجته ونور وروده

وبحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق ملبسه ووشي بروده

فصل إذا افتخر الزمان فإنه إنسان مقتلته وبيت قصيده

يغني المزاج عن العلاج نسيمه باللطف عند هبوبه وركوده

أما مرثيته فكانت في الملوك والامراء والاقارب، وعارض في بعض مرثيته قصائد الشعراء
الكبار كمعارضته لابن زيدون، في رثائه لملك حماة الملك المؤيد :

كان الزمان بلقىاكم يميننا وحادث الدهر بالتفريق يثنينا

فعندما صدقت فيكم أمانينا (أضحى التناهي بديلا عن تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا)

ان شعر صفي الدين الحلي متوزع بين الطبع والتكلف، فالطبع ينافس فيه الشعراء الكبار،
والتكلف يجري فيه مجرى شعراء عصره باستخدام اساليب البيان والبديع، ومحاولته التفوق عليهم
فكان كثيرا مايجنس ويطابق ويستعير ويكني، ويتلاعب بالحروف اعجاما واهمالا، أما شعره
المطبوع ففيه رقة الالفاظ وسهولتها، ووضوح المعاني وصحتها، وهو بحق أديب عصره وناقده .

المحاضرة الثانية عشرة

.....

النثر في العصر الوسيط

وصلت الينا فنون نثرية متنوعة من هذا العصر كالخطب والرسائل بنوعها: الديواني والاخواني والمقامات والمفاخرات، وأغلب هذه الفنون كانت معروفة في العصور السابقة ولكنها تطورت وزاد الاقبال عليها .

١-الخطابة

هي مقالة تتناول موضوعا معينا وتلقى على جمهور من المستمعين، وتقوم على الارتجال والمنطق السليم، وحسن التصوير وعمومية المناسبة، وقوة التعبير عن المعاني وترتيبها وتزيدها بالادلة كي تكون مقنعة، غير ان خطب العصر الوسيط اختلفت للارتجال بسبب اعتماد الخطباء على خطب السابقين، وكان الخطباء كثيرا مايرجعون الى خطب ابن نباتة الفارقي (٣٧٤هـ)، التي امتازت بالقصر والتسجيع وتناول الموضوعات الدينية .

كانت الخطب تلقى في مناسبات كثيرة كالاستنفار لصد غارة، او رد عدوان، او تلقى على المنابر أيام الجمع والاعياد ومناسبات اخرى، وتعتمد على اثاره العواطف لتقريب الخير وتجنب الشر، والدعوة الى تقوى الله سبحانه، والتحذير من مخالفته، والالتزام بالفروض الدينية، وعدم الاغترار بمباهج الدنيا وعمل الخير لكسب الآخرة .

وتقسم الخطب على نوعين الاول : خطب تلقى شفها، بعد ان يرتقي الخطيب المنبر او المنصة او أي مكان مرتفع، ويصاحب الالتقاء تحريك اليدين والاشارة والايماء للتأثير في الجمهور، والآخر : خطب مكتوبة، وهي التي يكتبها العلماء في مقدمة كتب التفسير والفقه والاصول، أو خطب زواج الامراء وابناء السلاطين، وتسمى (خطبة الصداق) .

والتزمت خطب هذا العصر بالسجع، وفنون البديع الاخرى كالجناس والطباق والمقابلة والتضمين والاقتباس، وانتقاء الالفاظ والعبارات ، والوحدة بين اجزاء الخطبة، وفضلا عن الخطب الدينية المذكورة سابقا، كانت هناك خطب حربية يلقيها قادة الجيوش والملوك على الجند لاثارة حماسهم وتشجيعهم على القتال، وهي خطب موجزة وسهلة المعاني وبعيدة عن التكلف ومنها مثلا خطبة الخليفة الحاكم بأمر الله في القاهرة يحث فيها الناس على الجهاد ومحاربة التتار :

(أيها الناس، أعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام، والجهاد محتوم على جميع الانام، ولايقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد، ولا سببت الحرم الا بانتهاك المحارم، ولاسفكت الدماء الا بارتكاب المآثم، فلو شاهدتم أعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والاطفال، وسبوا الصبيان والبنات، وايتمواهم من الالباء والامهات، وهتكوا حرم الخلافة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الاليم، فارتفعت الاصوات بالبكاء والعيول، وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم طفل بكى فلم يرحم لبكائه، فشمروا ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد، فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة، واخلصوا نياتكم تتصروا (...).

٢-الرسائل الديوانية

هي رسائل يكتبها كتاب ديوان الانشاء في المناسبات الرسمية على لسان الخلفاء والسلطين او الامراء، وبدأت هذه الرسائل منذ عهد النبوة وتطورت في العصر العباسي، وبلغت ذروتها في العصر الوسيط، وارتفعت مكانة كاتب الانشاء حتى وصلت الى مكانة القضاة وقادة الجيوش ووصل بعضهم الى مرتبة الوزارة .

تتناول الرسائل الديوانية موضوعات مثل العهود والتقاليد والمراسيم والمنشورات وكتب الوعيد والانذار وغيرها، وهي تتطلب ثقافة واسعة ومعرفة باللغة والأدب والبلاغة واجادة الخط وقواعد الاملاء، وعادة ماتكون هذه الرسائل كثيرة العناية بفنون البديع وخاصة السجع وغيره من الفنون، ويكثر فيها اقتباس الايات القرآنية وتضمين الاحاديث النبوية والاشعار والامثال واستخدام مصطلحات الفقه والنحو والتفسير .

وكثيرا ماكان يسمى رئيس ديوان الانشاء بكاتب السر، وهو الذي يصيغ رسائل السلطين وكل مخاطباته، وهو خازن اسرار الدولة ومستشار الحاكم ومدير أمره ، ويأتي بعده (كاتب الدست) وهو من يعين صاحب الديوان ويوكل اليه بعض الاعمال، ثم يأتي بعده (كاتب الدرج) وهو من اصحاب الخط الجيد، وللرسائل الديوانية اهمية تاريخية لأنها تسجل الاحداث والاحوال السياسية والاجتماعية، وتنطق عن مكنونات الناس وخاصة في الوصايا التي تدعو المسؤولين

الى رعاية الحق واشاعة العدل والرفقة بالرعية، ومن ذلك ماكتبه محيي الدين بن عبد الظاهر في تقليد السلطنة للسلطان المنصور قلاوون على لسان الخليفة (فالواجب أن يعمل بجزئيات أمره وكلياته، وأن لا يخرج أحد عن مقدماته . والعدل، فهو الغرس المثمر، والسحاب الممطر، والروض المزهر، وبه تنزل البركات، وتخلف الهبات، وتربو الصدقات، وبه عمارة الارض، وبه تؤدى السنة والفرض، فمن زرع العدل اجتتى الخير ومن أحسن كفي الضرر والضير، والظلم ، فعاقبته وخيمة وما يطول عمر الملك الا بالمعدلة الرحيمة . والرعية ، هم الوديعة عند أولي الامر فلا يختص منهم زيد دون عمرو ...) .

المحاضرة الثالثة عشرة

٣- الرسائل الاخوانية

وهي تتضمن العلاقات الاجتماعية بنوعها الافقي والعمودي، فعلاقات الكتاب بأسيادهم هي علاقة عمودية، وعلاقات الكتاب مع بعضهم هي علاقة أفقية، وهي تتناول موضوعات الشكر والشكوى والتقريض والمدح والمداعبة والعتاب والاعتذار والتهنئة والتعزية وغيرها، وربما كانت هذه الرسائل للتمرين وعرض المواهب، وحينها تكون بلا مناسبة، فقد كتب شهاب الدين الحلبي العديد من هذه الرسائل في كتابه (حسن التوسل الى صناعة التوسل) وسماها (رياضة الخاطر) وكان اغلبها في موضوعات اخوانية نادرة الوقوع، لامتحان قريحة الكاتب وتعليم الكتاب الناشئين اصول الكتابة .

وقد قلده في ذلك زين الدين عمر بن الوردي في رسالته (منطق الطير) وصف فيها الديك وفيها يقول (فصاح الديك : ها أنا أناديك، أنا قد أذنت، فأقم الصلاة أنت، هذا أوان صف الأقدام، ووضع الجباه، ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله ؟ كم أوقظك، وبانقضاء الاوقات أعظك . فأشفق عليك بصياحي، وأرفرف عليك بجناحي، أقسم لك الوظائف بلا حساب، وأعرف المواقيت بغير الاصطرلاب، أنهاكم عن معصية الله بخروج الوقت، فلا تعصوه، والله يقدر الليل والنهار، علم أن لن تحصوه) وهي رسالة سهلة الاسلوب والعرض، غرضها الموعظة والارشاد .

ويغلب على الرسائل الاخوانية القصر، والاكثر من عبارات المجاملة والتعظيم، والتناسب بين الموضوع والالفاظ، ومن ذلك رسالة اسماعيل الخشاب الى الأديب مرتضى الزبيدي :

(الأستاذ، أدام الله تأييده، وحلّى بوجوده جبين الدهر وجيده، ذو الانفاس الزكية، والاخلاق المرضية، والطلعة السنية، والمشاهد القدسية . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ..

فقد ورد كتاب السيد المرتضى، والحسيب المجتبى، رافع ألوية العلوم، ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم، فإذا هو روض ألفته الغصون، وعروس حسناتها عن عين الحواسد مصون، ورأيت من سحره الحلال، وسلساله الزلال، مابهر العقول، وأحجم عن مثله أولو العقول .

إلا أن السيد - لازالت سحائب جوده هاطلة، وأعناق مناظريه من آدابه عاطلة- أغلظ في الخطاب، وجاوز العتاب، ومع كونه ليس له في فضله من مباري، لم يقل لعاً لعثاري، وتوهم أني أبسط لسان الاساءة اليه، وأعاتبه وأنم عليه ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾) .

وهي رسالة رقيقة الاسلوب، لم يبالغ الكاتب في استخدام المحسنات اللفظية، ولم تطغ الالفاظ على المعاني .

٤- المقامات

فن نشأ في العصر العباسي، ويعد بديع الزمان الهمداني مبدعها الاول، ثم قلده كتاب كثر وابرزهم الحريري والزمخشري، وقد استمر الكتاب بعد غزو المغول في انشاء المقامات في موضوعات المدح والهجاء والرثاء والوصف، ومن كتاب المقامات نذكر ظهير الدين ابن الكازروني وابن الصيقل الجزري في مقاماته الخمسون وشهاب الدين محمود الحلبي وعمر بن الوردي وابن حجة الحموي وجلال الدين السيوطي .

وقد أنشأ ابن الكازروني مقامة اسمها (مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية) وهي تصف مجازر المغول بعد دخولهم بغداد وتدميرهم المدينة ومنها قوله (... فنهض بي عزمي لاجابة الداعي، وقعد اطفالي ينتحبون اوداعي، وأنا أعد للرحلة زادي، وأملأ بالماء لبعد المسافة

مزادي، فلما اقتعدت راحلتي وانضيتها في قطع مسافتي، وافيتها بادة خالية، وأمة جالية، ودمنة حائلة، ومحنة جائمة، وقصورا خاوية، وعراصا باكية، قد رحل عنها ساكنها، وبان عنها قاطنها، وتمزقوا في البلاد، ونزلوا بكل واد، وقصورها المشيدة مهدومة، ونعماؤها مسلوية معدومة، موحشة لفقد قطانها، باكية بلسان الحال عن ساكنها، عظام العظام بالية، تسفي عليها الرياح السافية ﴿فهل ترى لهرمن باقية﴾ فوقفت أبكيها، وأندب ربوعها ومن كان فيها :

وأندب اطلالها تارة وأبكي على فرقة الظاعنين

فلو ذهبت مقلة بالبكاء لفرط الغرام لكنا عمينا

وهي مقامة تتسم بالوضوح والصدق، وقوة التعبير، والاكثار من الصنعة اللفظية، وكانت المقامات في هذا العصر كاشفة لآحوال الناس وطبائعهم كما في مقامات ابن الوردي والسيوطي

٥ - المفاخرات

فن رفيع نشأ في العصر العباسي، ومحبيب للنفوس، وتجري فيه محاوراة بأسلوب جميل بين اثنين أو أكثر يتكلم كل واحد عن نفسه في موضوع معين، متحدثا عن خصائصه ومحاسنه حديثا مؤثرا بهدف الفخر والتغلب على خصمه، وكذلك يذكر عيوب خصمه ويبالغ فيها ويقلب محاسنه عيوباً، وهكذا تتواصل المفاخرة وتتصاعد بين قول ورد واتهام ودفاع، وتنتهي المفاخرة عادة بالصلح بين الطرفين .

وتعتمد المفاخرة على الخيال الخصب وجودة التصوير، واتقان استخدام فنون البيان والبديع، ومن المفاخرات المشهورة في هذا العصر المفاخرة بين السيف والقلم لابن الوردي ومنها (فلما رأى القلم السيف قد احتد، ألان من خطابه ما اشتد، وقال : أما الأدب فيؤخذ عني، وأما اللطف فيكتسب مني، فإن لنت لنت، وإن أحسنت أحسنت، نحن أهل السمع والطاعة، ولهذا يجمع في الدواة الواحدة منا جماعة، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف، ولهذا لم يجمعوا سيفين في غلاف .

قال السيف : أمكراً ودعوى عفة، (لأمر ما جدع قصير أنفه)، لو كنت كما زعمت ذا أدب،
ماقابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب، أنا ذو الصيت والصوت، وغراري لسانا مشرفي يرتجل غرائب
الموت، أنا ﴿من مارج من نار﴾، والقلم ﴿من صلصال كالفخار﴾، وإذا زعم القلم أنه مثلي، أمرت
من يدق رأسه بنعلي) .

ومن المفاخرات المعروفة في هذا العصر نذكر :

- المفاخرة بين السيف والقلم للقلقشندي .
- المفاخرة بين القاهرة ودمشق للبسطامي .
- المفاخرة بين التراب والنار للسيوطي .
- المفاخرة بين الورد والنرجس للحصكفي المارديني .

المحاضرة الرابعة عشرة

اعلام الكتابة الفنية في العصر الوسيط

١- ابن نباتة المصري

هو جمال الدين محمد بن محمد ابن نباتة، ولد في القاهرة سنة ٦٨٦هـ، ودرس
الادب واللغة والفقه على شيوخ عصره، برع في الشعر والنثر، وانتقل الى بلاد الشام
ليمدح ملك حماة اسماعيل بن علي الايوبي واولاده، وبعد سقوط هذه الدولة انتقل
ابن نباتة الى دمشق وعمل كاتباً للانشاء وتفوق فيه، وعرف بطريقته الرمزية في
الكتابة التي زادت من الصناعة اللفظية، ثم عاد الى مصر وقد جاوز السبعين من
عمره ومدح السلطان الناصر حسن، توفي في القاهرة سنة ٧٦٨هـ .

له اثار عديدة منها ديوان خطب، وديوان شعر، وكتاب سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، رسالة المفاخرة بين السيف والقلم، ومطلع الفوائد ومجمع الفرائد.

جارى ابن نباتة ذوق عصره في الكتابة وهو ذوق مرتبط بالصياغة اللفظية المتكلفة المليئة بالسجع والجناس والطباق، إذ تأثر بالقاضي الفاضل ونهج نهجه وجمع مختارات من رسائله في كتاب (الفاضل من انشاء الفاضل)، ولكنه لم يلتزم بطريقته التزاما تاما بل مال الى التقليل من البديع والاتجاه الى الاسلوب المطلق، ونشره يتأرجح بين التزام الصناعة اللفظية التي ترهق الفكر وتتعب الذهن وبين التخفف من هذه الصناعة والتعقيد اللفظي كقوله على لسان القلم في رسالته (المفاخرة بين السيف والقلم): (أتفاخرني وأنا للوصل وأنت للقطع، وأنا للعتاء وأنت للمنع، وأنا للصلح وأنت للضراب، وأنا للعمارة وأنت للخراب، وأنا للمعمر، وأنت المدمر، وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد، وأنت العابث وأنا المجود ومنن أولى من القلم بالتجويد، فما أقبح مشبهك، وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك، أعلى مثلي يشق القول، ويرفع الصوت والصول، وأنا ذو اللفظ المكين، وأنت ممن يدخل تحت قوله تعالى ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ .

ان الصناعة اللفظية في هذه الرسالة مقبولة وغير متكلفة وجاء السجع فيها متوازنا ولم يؤثر في المعنى .

٢ - القلقشندي

هو ابو العباس احمد بن علي بن أحمد في مدينة قلقشندة سنة ٧٥٦هـ، وتعلم الفقه واللغة والادب وعلوم اخرى، وانتقل الى الاسكندرية وطلب العالم فيها، ونال

اجازة بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي، ثم عمل في ديوان الانشاء بالقاهرة واشتغل بالتأليف حتى وفاته سنة ٨٢١هـ، خلفا مؤلفات ضخمة أشهرها موسوعته الكبيرة (صبح الاعشى في صناعة الانشا) وهي في (١٤) مجلدا، وكتاب نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ومقامة (الكواكب الدرية في المناقب البدرية) وغيرها .

ويعد كتابه صبح الاعشى مرجعا للكتابة العربية وأصولها وطرقها وتطورها بالاعتماد على عشرات المصادر التاريخية والجغرافية، وقد تناول فيه ثلاثين نوعا من انواع المكاتبات الصادرة عن دواوين الانشاء.

ويتميز نثره باعتماد الطبع دون الصنعة، وقد انعكست ثقافته الواسعة في نثره وخصوصا في عرض مادة صبح الاعشى بطريقة سهلة ومفهومة بعيدا عن التعقيد، ويتميز بأسلوبه بالاشراق واللغة الواضحة السليمة، ومن نثره قوله في وصف الرمح (الرمح هو آلة الطعن، والرماح ضربان، أحدهما متخذ من القنا، وهو قضيب مسدود من الداخل، ينبت ببلاد الهند يقال للواحدة منه : قناة، ويقال لمفاصلها : أنابيب، ولعقدها : كعوب؛ فإن كان قد نشأ في نباته مستقيما بحيث لا يحتاج الى تثقيب قيل له: الصعدة - بفتح الصاد وسكون العين المهملتين - وإن احتاج الى تقويم مقوم قيل له : مثقف . ويوصف القنا : بالخطي - بفتح الخاء المعجمة - نسبة الى الخط، وهي بلدة بالبحرين تجلب اليها الرماح من الهند، وتنقل الى بلاد العرب) .

٣- عبد القادر البغدادي

هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي، ولد في بغداد سنة ١٠٣٠هـ ودرس في مدارسها واخذ عن علمائها، واتقن العربية والتركية والفارسية، ورحل الى دمشق

واتصل بأحد وجهائها فأكرمه، وافاد من علمائها، ثم ارتحل الى القاهرة ونهل من مجالس علمائها وادبائها، وقد امتلك ناصية علوم كثيرة واتضح ذلك في اعظم مؤلفاته (خزانة الأدب) ، ثم حط البغدادي رحاله في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ومحط العلماء والادباء، وتنقل بين المدن حتى توفي في القاهرة سنة ١٠٩٣ هـ .

ترك البغدادي مؤلفات كثيرة في اللغة والتاريخ والأدب منها شرح شواهد المغني لابن هشام، شرح شواهد الشافية للرضي الاستربادي، ومشكلات اللغات، وخزانة الادب ولب لباب لسان العرب وهو أهم مؤلفاته وهو شرح شواهد كتاب الكافية لابن الحاجب، ويعد موسوعة في علوم العربية وأدائها وامثالها ولهجات العرب واخبارهم واياهم وشرح لعشرات القصائد وهو مليء بالنصوص النادرة، واعتمد على عشرات المصادر الادبية والنحوية .

انعكست في نثره فطنته وذكاءه وسعة علومه، فكان ماهرا في نقد النصوص ومقارنتها ودقة النقل عن المصادر وتحري الامانة والتنبيه على الاخطاء التي وقع فيها العلماء، وهو أعلم المتأخرين باللغة والشعر والنثر والمقامات وأيام العرب، وكان أسلوبه جميلا غير ممل بسبب الاستطراد بين الرأي الرصين والخبر الطريف والنكته اللغوية والبلاغية والتعريض على الفقه وقرع الحجة بالحجة، وكان طريقته في الكتابة سهلة وغير معقدة، وغايته اىصال العلم والمعرفة الى المتلقي بأيسر الطرق .

ومن نثره قوله في مقدمة خزانة الادب موضحا منهج الكتاب (اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح، وفحصنا عن قائلها، حتى عزونا كل بيت الى قائله - ان امكننا ذلك - ونسبناه الى قبيلته أو فصيلته، وميزنا الاسلامي عن الجاهلي، والصحابي عن التابعي، وهلم جرا، وضمنا الى البيت مايتوقف عليه معناه؛ وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة، أو ردناها كاملة، وشرحنا غريبها أو مشكلها،

وأوردنا سببها ومنشأها؛ كل ذلك بالضبط والتقييد، ليعم النفع، ويؤمن التصحيف والتحريف، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله، ويدفع احتمال ضعفه) .

المصادر :

- ١- الادب العربي في العصر الوسيط من زوال الدولة العباسية حتى بدء النهضة الحديثة/
الدكتور ناظم رشيد شيخو .
- ٢- الادب في العصر المملوكي / د.محمد زغلول سلام .
- ٣- تاريخ الادب العربي في العراق / عباس العزاوي .

الشعر التعليمي:

عرف هذا اللون من النظم الذي يتخذ للحفظ والاستظهار منذ عصر بني العباس ، وبلغ الذروة في العصور المتأخرة، وأصبح احد مستلزمات الدراسة في علوم اللغة العربية وآدابها، وهو - كما هو معروف - يفتقر الى العاطفة والخيال، وبيتعد عن دقة الحس ورقة النفس، ويخاطب العقل، ويتميز بالطول والاعتماد - في الغالب - على الرجز.

وقد كان للنحو والصرف القدح المعلى من هذا النظم، ولا سيما تلك المطولات المعروفة بالالفيات، مثل الفية زين الدين ابي زكريا يحيى بن عبد المعطي المشهور بأبن معطٍ (ت ٦٢٨ هـ) المسماة بـ ((الدرة الالفية في علم العربية))، وألفية العلامة النحوي اللغوي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ) المسماة بـ ((الخلاصة))، وألفية الحافظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) المسماة بـ ((الفريدة))...

وفي علوم البلاغة اشتهرت البديعيات، وأول من نظم فيها قصيدة أمين الدين علي بن عثمان الاريلي (ت ٦٧٠ هـ)، وهي في ستة وثلاثين بيتاً مضمناً كل بيت محسناً من محسنات البديع وإزاء كل بيت المحسن الذي يشير اليه. ثم تحولت هذه البديعيات الى مديح الرسول - صلى الله عليه وسلم - كي يقبل الدارسون على حفظها من خلال هذا المديح في أعظم انسان. وهي على غرار بُردة البوصيري، وفي بحر البسيط، منها بديعية صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ) المسماة بـ ((الكافية البديعية في المدائح النبوية)) عدتها مئة وخمسة وأربعون بيتاً تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع ، مطلعها:

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جَيْرَةِ الْعَلَمِ

وَإِقْرَ السَّلَامَ عَلَى غُرْبٍ بِذِي سَلَمٍ

وقال في مقدمتها: ((الزمْتُ نفسي في نظمها عدم التكلف، وترك التعسف، والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع والمترع، وحسن المطلب والمقطع، وتمكن قوافيها، وظهور القوي فيها، بحيث يحسبها السامع غُفلاً من الصنائع)). ونظم على غرارها شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الأعمى (ت ٧٨٠ هـ) قصيدة سماها ((الحلة السيرافي في مدح خير الورى))، وتقع في مئة وسبعة وعشرين بيتاً، استهلتها بقوله:

بِطَيْبَةِ أَنْزَلِ وَيَمِّمَ سَيِّدَ الْأُمَمِ

وَأَنْشُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَأَنْشُرْ أَطْيَبَ الْكَلِمِ

ولعل بديعية لم تظفر بالشهرة كما ظفرت بديعية ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) وقد جعلها في
مئة وثلاثة واربعين بيتاً، استهلها بقوله:

لِي فِي ابْتِدَاءِ مَدْحِكُمْ يَا غُرَبَ ذِي سَلَمٍ

بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعَلَمِ

وثمة بديعيات أخرى مثل بديعية جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) التي سماها
((نظم البديع في مدح خير شفيح)) ، وبديعية عائشة الباعونية (ت ٩٢٢ هـ) التي سمتها ((الفتح المبين في مدح الأمين)) وبديعية صدر الدين ابن معصوم الحسيني المدني (ت ١١١٧ هـ) ، وبديعية عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ).

وفي علم العروض نظم شهاب الدين أحمد بن اسماعيل الكوراني (ت ٨٩٤ هـ) قصيدة في ست
مئة بيت سماها ((الشافية في علم العروض والقافية)) ، اولها:

بِحَمْدِ إِلَهِ الْخَلْقِ ذِي الطُّولِ وَالْبَرِّ

بَدَأَتْ بِنَظْمِ طِيهِ عَبَقِ النَّشْرِ

وَتَنِيْتُ حَمْدِي بِالصَّلَاةِ لِأَحْمَدَ

أَبِي الْقَاسِمِ الْمُحْمُودِ فِي كَرِبَةِ النَّشْرِ

صَلَاةَ تَعْمُ الْآلَ وَالشَّيْعَ الَّتِي

حَمَوْا وَجْهَهُ يَوْمَ الْكُرْبَةِ بِالنَّصْرِ

ووصلت إلينا مجموعة منظومات في الموسيقى، وقد ذكرنا واحدة منها، وهي ((ارجوزة الانغام))
لبدر الدين محمد بن علي بن احمد الإربلي (ت ٧٥٥ هـ)، ونذكر هنا أخرى بعنوان ((ارجوزة
الالان والنغمات)) في خمسة وخمسين بيتاً لعبد الله بن خليل بن يوسف المارداني (ت ٨٠٩ هـ)،
وثمة ارجوزة للعالم الجليل الشيخ محمد شمس الدين الصيداوي (ت ٩١١ هـ) بعنوان ((ارجوزة في الأنغام)) في مئتين وأربعة وتسعين بيتاً.

وشمل الشعر التعليمي علم التوحيد، فها هو ذا شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد بن عبد
الله المعروف بابن عر بشاه (ت ٨٥٤ هـ) ينظم قصيدة بعنوان ((العقد الفريد في علم التوحيد))
اولها:

سَبَى الْقَلْبَ ظَنِيءٌ مِنْ بَنَى الْعِلْمَ أَغْيَدُ

لَهُ مَقْلَةٌ كَحَلٍّ وَخَذَ مُورِدُ

وفي الفرائض نظم شهاب الدين احمد بن يوسف السيرجي (ت ٨٦٢ هـ) ارجوزة سماها ((المربعة)) عدتها ثلاث مئة وثلاثة عشر بيتاً، ووصلت اليها قصيدة لابراهيم بن احمد بن ناصر الدمشقي (ت ٨٧٠ هـ) في شروط الوضوء، مطلعها:

احفظ شروطاً للوضوء نظمها فحفظها يعني الفقيه البارع

وأخذ التاريخ جهداً كبيراً من الشعراء، اذ تراهم يؤرخون للحوادث والوقائع في قصائد وأراجيز طويلة، ونكتفي هنا بذكر واحدة منها لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وهي في مئة وستة عشر بيتاً، تناول فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اسماء الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العباسيين، وكذلك تناول فيها أسماء الخلفاء من بني العباس في مصر الى سنة ٩٠٣ للهجرة، جاء في اولها:

الحمدُ للهَ حمداً لا نفاذَ له	وإنما الحمدُ حقاً رأسُ من شُكرا
ثم الصلاةُ على الهادي النبيِّ ومن	سادت بنسبته الأشراف والكُبرا
إن الأمينَ رسولُ الله مبعثُهُ	لأربعين مضت فيما رَووا عُمرَا
وكان هجرته فيها لطيبته	بعدَ الثلاثة أعواماً تلي عَشرا
ومات في عامٍ إحدى بعدَ عَشرتها	فيا مصيبةً أهل الأرض حين سَرى

ومن طريق ما وصل اليها هذه الأراجيز، أرجوزه في أسماء أسواق العرب المشهورة قبل الاسلام لعمر بن عبد الله بن عامر المعروف بالزين الأنصاري (ت ٨٢٦ هـ)، قال فيها:

إن شئت أن تعرف أسواق العرب	لتقتفي الآثار من أهل الأدب
فدومة الجندل ، والمشعر	وان هذا القول عندي أظهر
كذا فجار ، ودثار الشحر	وعدن من دون هذي البحر
صنعاء منها ، وعكاظ الزاهية	وذو المجاز ، وخُباش تالية
وأخرُ الأسواق عند ذي الرِّشد	مجنةً بها فكمل العدَدُ

وهناك اراجيز وفصائد كثيرة في علوم الحديث والتصوف والمنطق والطب والفلك والخط وسواها، ولا مجال لتناولها في هذا الكتاب، ولعل ما ذكرنا من أمثلة يكفي للاستدلال على الاهتمام بها والاعتماد عليها وعلى شروحها في التعليم والتعلم في العصور المتأخرة.

ويمكن أن تضيف الى الشعر التعليمي القصائد الطويلة التي نظمت في التربية وآداب السلوك ،
ومكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وفلسفة الحياة، ولاسيما تلك القصائد التي عارض فيها
اصحابها لامية اسماعيل بن الحسين ابن علي الطغرائي (ت ٥١٥ هـ) التي يقول في مطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطي وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وهي من بحر البسيط، وأشهر من عارضها بإجادة خليل بن أيبك الصفيدي (ت ٧٦٤ هـ) ،
بقصيدة مطلعها:

الجَدُّ في الجدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ

فانصبْ تُصبْ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الأَمَلِ

ومن جميل النصح والارشاد في القصيدة:

وإنْ بُلِيتَ بشخصٍ لا خَلَقَ لَهُ فكنْ كائنَكَ لم تسمعْ ولم يَقُلْ

ولا تُمارِ سفيهاً في مُحاورَةٍ ولا حليماً لكي تنجو من الزَّلَلِ

وكذلك عارضها اسماعيل بن ابي بكر بن عبد الله المعروف بأبن المقرئ (ت ٨٣٧ هـ) وهو
من اهل اليمن، ومطلع لاميته:

زيادةُ القولِ تحكي النقصَ في العملِ ومنطقُ المرءِ قد يَهْدِيهِ للزَّلَلِ

وتعد هذه القصيدة من الدروس النافعة في تربية النفس، وتوطينها على الاخلاق النبيلة، ونبذ ما
يشينها ويزري بها، مثل ما جاء فيها.

وقيمةُ المرءِ ما قَدَ كانَ يُحسِنُهُ فاطلبْ لنفسِكَ ما تعلو به وسلِ

وخير مالٍ الفتى مال يصون به عرضاً وينفقه في صالحِ العملِ

وثمة لامية تربوية مشهورة لابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ)، وقد جاءت في وزن الخفيف وهو مغاير
للقصائد السابقة التي اعتمدت على البسيط في تفعيلاتها، ومطلعها:

اعتزلْ ذَكَرَ الأغاني والغزلِ وقلْ الفصلَ وجانبَ مَنْ هزلْ

ومنها:

أطلبُ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلِ

في ازديادِ العلمِ إرغامُ العدى وجمالُ العلمِ - يا صاح - العملُ

ومثل هذا النظم يكاد يكون سمةً بارزةً لهذا العصر، إذ يجد القارئ عشرات القصائد التي تدعو
الى نبذ الكسل، وطلب العلم، والتمسك بالخلق الكريم، وبناء الأسرة على أسس الفضيلة والعزة

والكرامة .. ولا ضير في قراءته وحفظه، بل هو نافع ومفيد، وقد حث الدكتور طه حسين ناشئتنا على التوجه الى الشعر التعليمي، فقال: ((ان في قراءة هذا النوع ما قد يبعث شعراءنا على محاكاة هذا الشعر، وأؤكد لكم أن هذه المحاكاة تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر، فأجمل ما فيه أنه بريء كل البراءة من التكلف.